تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

(الآية 11):

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

١ الإيمان بالقدر ومعنى المصيبة

- هذه الآيات تدل على الإيمان بالقدر، وهو أصلٌ عظيم من أصول العقيدة،
فالله سبحانه وتعالى علم وكتب ما كان وما سيكون، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وهو خالق أفعال العباد، وقد خلق الله للإنسان قدرة وإرادة، وباجتماعهما يقع الفعل، فيكون مخلوقًا لله ومكسوبًا للعبد، فيُحاسَب عليه.
- وهناك مصائب تقع خارج اختيار الإنسان، كالموت والمرض والحوادث، وكلها تقع بإذن الله.

٢ ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

- ربط سبحانه وتعالى بين الإيمان الصحيح بالقدر وبين هداية القلب.

٣ البرهان بأن المقادير مكتوبة

- قال النبي ﷺ:« واعْلَمْ أن ما أصابك لم يَكُنْ ليُخْطِئَكَ وما أخطأك لم يَكُنْ ليُصيبَكَ».
- ومن تمام الإيمان أنه لا يصح الاعتراض بعد وقوع الأحداث قال النبي ﷺ:«فإن أصابك أمرٌ فقل : قدر اللهُ وما شاء فعل، ولا تقلْ لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ»
- قال تعالى: (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ * لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ)[سُورَةُ الحَدِيدِ: ٢٢-٢٣]
- الحزن عند المصيبة أمر فطري لا ينافي الإيمان بالقدر، فقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم وبكى عند وفاة ابنه إبراهيم وأصحابه.

٤ الإيمان بالقدر يهوّن المصيبة

- الإيمان بأن ما وقع قدرٌ مكتوب عند الله يخفف وقع المصائب على الإنسان.
- قال بعض السلف: ينبغي للمؤمن عند المصيبة أن يحمد الله على أربعة أمور:
1- أنها قد مرّت فلا محالة فيها.
2- أنها لم تكن أعظم من ذلك.
3- أنها لم تكن في الدين.
4- أن الله رزقك الصبر عليها وأعطاك أجرها.
- قال النبي ﷺ:«اللهمَّ لا تجعلْ مُصيبتَنا في دِينِنا, ولا تجعلِ الدُّنيا أكبرَ همِّنا»
- المصيبة الحقيقية هي ما يصيب الدين
يُستحب أن يدعو المؤمن بأن يعوّضه الله خيرًا في الدنيا، فإن المصيبة قد تكون فرصة زيادة الثواب.

٥ دور الإيمان بالقدر في مواجهة المصائب

- 1- الإيمان بالقدر يمنح المؤمن السكينة والطمأنينة عند وقوع المصائب ويحميه من الاكتئاب .
- 2- الربط بين المصائب والتغابن: فقوة الإيمان تحدد تأثير المصيبة على الإنسان؛ فتكون للمؤمن القوي فرصة للصبر وكسب الأجر وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، وتهذيب النفس. أما الضعيف فتنال منه وتثقل قلبه.
- 3- المؤمن يتفكر: هل المصيبة عقوبة أم ابتلاء، أو تكفير للذنوب؟ وكان السلف عند المصيبة يراجعون أنفسهم.
- 4- كل خير وشر يصيب المؤمن نافع إذا كان مطيعًا لله.

٦ تفسير ابن كثير رحمه الله لمعنى الصبر والرضا

- ذكر في كتابه "المصباح المنير"
قال ابن كثير:"ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هُدىً في قلبه، ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرا منه"
- يهدي قلبه: إذا صبر واحتسب
ورضي بالله: عوّضه الله عما فاته من الدنيا.
- قد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرًا منه: يعوضك بالهدى واليقين في القلب، وذلك أفضل من الدنيا التي فُقدت.
- وقد يعوضك بالدنيا نفسها أو بما هو خير منها.
قال تعالى:(إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)[الأنفال: ٧٠]
- الإيمان بالقدر يوازن مشاعر الإنسان بين الرضا وعدم التعلق أو المبالغة في الفرح.
- ينبغي أن يكون الفرح بالنعمة مقرونًا بشكر الله والرضا عنه، حتى لا يقود إلى العجب والكبر، مع استحضار أن كل فضل إنما هو من الله وحده، وأنه مقدَّر ومكتوب في اللوح المحفوظ.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

(الآية 12)

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

١ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾

- قد تكون المصائب ابتلاءً من الله لا عقوبة، والمؤمن المواظب على طاعة الله ورسوله ينعم بالطمأنينة، ويُحسن الظن بربه، موقنًا أن كل ما يصيبه خيرٌ له.
- قال النبي ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"
- كان النبي ﷺ يقول في دعائه: "رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي".

تتنوع الحكمة من المصيبة بين رحمة وابتلاء وعقوبة واستدراج، ويبقى الميزان الفاصل هو حال القلب مع الله. فكلما قوي الإيمان، عظم أثر السكينة وهدأت النفس.

٢ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

- من أعرض عن الطاعة ضر نفسه، لا يضر الله ولا رسوله ولا الدعاة، والخسارة تقع عليه وحده.
- من صور التغابن:أن تدفع المصيبة البعض إلى البعد عن الله، فيترك الصلاة، أو المسجد، أو تترك المرأة حجابها، فيكون رد الفعل على المصيبة سببًا لمصيبة أعظم؛ والإنسان لا يضر بذلك إلا نفسه، لذا فالحكمة في التعامل مع المصائب ضرورة لتجنب الخسارة المضاعفة.

(الآية 13)

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

١ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾

- الله وحده المستحق للعبادة، وفهم صفاته يعين المؤمن على التوكل عليه، حتى في المصائب.
- الثقة بالله تجعل المؤمن يرى الخير في كل أحداث الحياة، حتى لو لم تُدرك حكمة ذلك فورًا.

٢ التوكل في حياة الأنبياء

- كان سيدنا يعقوب عليه السلام مثالًا حيًا في التوكل وحسن الظن بالله، رغم المصائب التي تعرض لها قال تعالى على لسان يعقوب: (وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)[يوسف: ٦٧]

فحفظ الله سبحانه وتعالى له أولاده يوسف وإخوته، وحققت مصيبته في النهاية خيرًا له ولأسرته.

وقال تعالى: (فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[يوسف: ٩٦]

- قال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"
- التوكل الحقيقي والاعتماد على الله أساس تحقيق الطمأنينة في الحياة، وأن كل ما يفعله الإنسان من أسباب يجب أن يكون مقرونًا بالثقة في الله.

يتضح من الآيات الكريمة:التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل؛ فالمؤمن يأخذ بالأسباب ويبذل جهده، ولا يعتمد عليها وحدها، بل يتوكل على الله.

- الكمال في التوكل يتحقق بجمع السعي والعمل الصالح مع الثقة بالله، أما التقصير في العمل بالأسباب هو خلل في التوكل.

(الآية 14)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

١ ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾

- يحذر الله من أن بعض الزوجات والأولاد قد يكونون سببًا في خسارة الإنسان، ليس عداءً، بل لشدة الحب.
- فبسبب العاطفة قد يطيع الإنسان ما يؤدي إلى معصية أو تقصير في الطاعة، فيضر نفسه ويخسر يوم القيامة.
- فالعمل الذي صدر منهم دون قصد هو عين ما كان العدو سيفعله، فالنتيجة واحدة رغم أن النية كانت المحبة.
- قال النبي ﷺ:"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"
- الدنيا صراع بين المحبوبات، وعند التعارض يجب أن يقدّم المؤمن حب الله ورسوله على كل محبوب، حتى لو خسر بعض متاع الدنيا، فلا يطيع أهله في معصية رحمة وحماية لهم.

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

٢ سبب نزول الآية

- نزلت الآية في مجموعة من المهاجرين وقيل إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، حين أراد الهجرة من مكة إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ترددت زوجته في الهجرة فأقنعته بالبقاء معها فترة في مكة، فاستجاب لها.
- فلما وصل إلى المدينة وجد أن الصحابة سبقوه في التعلم من النبي ﷺ، فغضب واشتد عليه شعوره بالرغبة في معاقبة زوجته.
- فأنزل الله تعالى الآية لتوجيهه إلى العفو والصفح والمغفرة.

٤ القوامة والحكمة في إدارة الأسرة

- القوامة تعني صفات القائد؛ أي القدرة على التصرف بحكمة وإدارة من تحت قيادته، وفي بعض الأحيان يكون العفو والصفح والمغفرة هو الحل الأمثل.
- ليس من الحكمة العقاب الشديد في كل موقف، بل العفو مع التوجيه والحكمة يضمن استمرار العلاقة.

٦ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

- المكافأة عظيمة: من يعفو ويصفح ويغفر، له المغفرة والرحمة يوم القيامة.
- كما تحب أن يعاملك الله يوم القيامة: لا يعاقبك، ولا يوبخك، ولا يفضحك، فابدأ بنفسك مع الآخرين: أعفُ، وأصفح، واغفر لمن أساء إليك.
- قال النبي ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحَموا مَن في الأرضِ، يرحَمْكم مَن في السَّماءِ".

- قال النبي ﷺ:"كان رجل من أمثالكم، لم يكن له خير كثير، ولكنه كان يقرض الناس قرضًا حسنًا ويبعث عامله عند السداد، ويقول: من وجدته موسرًا فخذ منه، ومن وجدته معسرًا فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عني غدًا" فلقي الله فقال له: "له نحن أحق بذلك منك"، فتجاوز عنه وأدخله الجنة.
- التسامح والعفو عن الآخرين قد يكون سببًا لتجاوز الله عنا يوم القيامة.
- من باب أولى أن يبدأ الإنسان التسامح مع الأقرب: الزوجة والأولاد، فالأخلاق الحقيقية تظهر في المنزل، وليس أمام الناس، فالعصبية والشتم مرفوض داخل الأسرة.
- قال ﷺ:"خيركم خيركم لأهله"

- قال النبي ﷺ: "الولد مجبنة، مبخلة، مجهلة"
المجبنة: أي أن الولد قد يجعلك تخاف على نفسك ولا تذهب للجهاد في سبيل الله خوفًا من مصيره بعدك، حتى لو كان رضيعًا لم يطلب منك شيئًا.
- المبخلة: تجعل الإنسان يبخل في الصدقة، وقد يمتنع عن أداء الواجبات أو المستحبات، ويضع المال أولًا لأولاده على حساب ما يجب إخراجه.
- المجهلة: تجعل الإنسان يقصر في طلب العلم أو حفظ القرآن أو حضور مجالس العلم.
- فالولد فتنة واختبار ينجح فيه الإنسان أو يفشل.

٣ ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

- فمع عدم الاستجابة للمعصية، أمر الله بالتجاوز والعفو والصفح، لأن ما يصدر من الأهل غالبًا يكون بدافع الحب أو سوء التقدير.
- وهذا يبيّن أن العفو من ملامح القوامة وليست القسوة والتسلط بل رحمة وحكمة وعفو يقود الأسرة إلى طاعة الله.

٥ الفرق بين العفو والصفح والمغفرة

- 1-العفو: هو عدم العقوبة، أي مسامحة الشخص وعدم عقابه.
- 2-الصفح: هو عدم اللوم و العتاب.
فقد تُسامح شخصًا على أذى وقع منه، لكن تظل تلومه، وهذا غير صحيح. الصفح يعني أن تتجاوز عن العقوبة ولا تلومه على ما فعل.
- 3- المغفرة: الستر الكامل وعدم إعادة ذكر الخطأ، سواء لك أو للآخرين.
فلا تُعيد الحديث عن الخطأ، ولا تُثيره أمام أحد، بل تغطيه تمامًا وتستره، وهذا من المروءة.

- الرفق أفضل من العنف، قال ﷺ:"إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفقِ ما لا يُعطي عَلى العُنفِ"

(الآية 16)

﴿فَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

١ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾

- يتقون الله بقدر طاقتهم، وبذل الجهد والمستطاع في الامتثال، فالفعل متعلق بالاستطاعة.

- ضوابط لكي ينجح الإنسان في اختبار الفتنة مع الأولاد والأموال:
الالتزم بشرع الله في اكتساب المال والإنفاق، وتجنب الحرام.
الإنفاق في سبيل الله.
الحرص على أداء الواجبات المستطاعة، مع بذل الجهد في المستحبات.
قال النبي ﷺ: "ما أمرتكم به من أمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"

تدبر سورة التغابن

المحاضرة:13

٢ ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾

- الإنفاق يعوض التقصير.
- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".
- قال النبي ﷺ «والصدقة تطفئ غضب الرب» كما جاء في الحديث أيضًا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:«رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»
- قال ﷺ للنساء: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار»
- الصدقة تحمي الإنسان من الوقوع في النار بسبب التقصير، وتكفر الذنوب وتطهر النفس.
- الصدقة تطهر القلب من حب الدنيا
- الصدقة أفضل استثمار للمال، بالاستفادة من مالك في طاعة الله فتجنبك التغابن يوم القيامة.
- الصدقة تنزع البخل والشح من القلب، وتحمي من حب الدنيا وأمراضها الروحية، وتمنع الإنسان من المعاصي كالغش والسرقة والظلم.

٣ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

- فالإنسان الذي يوق شح نفسه ويبتعد عن البخل هو المفلح،
- **الشح أعظم من البخل:**
البخل: هو الامتناع عن العطاء مما في يدك.
الشح: هو الامتناع عن العطاء مما في يدك مع الطمع فيما في أيدي الآخرين.
الشح يؤدي إلى قطع الرحم، وعقوق الوالدين، والسرقة، والغش، والرشوة.
- علاج الشح هو الصدقة التي تضعف هذا المرض تدريجيًا، وتحرر العبد من التعلق بالدنيا، فتزهد النفس في الدنيا، ولا تقع في المعاصي.

(الآية 17)

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

١ ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

- الصدقة تشبه القرض الحسن، فتعود للمتصدق وقد ضاعف الله أجرها، وغفر بها الذنوب.
- قال النبي ﷺ:«ما من مسلم مؤمن يتصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبًا، إلا أخذها الله بيمينه فنماها له وربّاها له كما يربي أحدكم فلوه، حتى تصير مثل الجبل يوم القيامة»
- الفلوة: الحصان الصغير.

٢ ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾

- **شكور:** يعطي الكثير على العمل القليل.
- **حليم:** يؤخر العقوبة عند الخطأ.

(الآية 18)

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

١ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

- عالم الغيب والشهادة: يعلم كل ما كان وما سيكون وما لم يظهر بعد.
- **العزيز:** الذي لا يُغلب ولا يُغالَب.
- **الحكيم:** في كل شرعه، وكل أمره، وفيما قضى لعباده، وما أوقعه عليهم من الأقدار،
- حتى المصائب له حكمة فيها سبحانه وتعالى.